

كتاب جديد للفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن "سؤال العنف بين الماتثمانية والحوارية"



الكتاب الصادر مؤخرا عن "المؤسسة العربية للفكر والإبداع" في بيروت يقع في 215 صفحة من الحجم المتوسط، وهو عبارة عن قسمة: أولهما حوار مطول عن العنف، أجرتة معه المؤسسة حول الصورة التي اتخذها العنف في المجالين العربي والإسلامي، حيث يركز عبدالرحمن على شخصية العنيف نفسيا وفكرا وسلوكا.

أما المقسم الثاني من الكتاب فعبارة عن دراسة عن الحوار خصصها لنظرية الفيلسوف الفرنسي إيمانويل ليفيناس، مقارنة بينها وبين نظرية الأمانة التي أصل لها عبدالرحمن (73 عاما) من الأصل الديني القرآني.

لنا حوار ولما أخلاق

في جولته، ينطلق الفيلسوف المغربي من عدد من المسلمات منها أنه "حيثما وجد العنف فلا دليل، وحيثما وجد الدليل فلا عنف"، وكذلك أنه "حيثما وجد العنف فلا حوار، وحيثما وجد الحوار فلا عنف".

لذلك يعتبر عبدالرحمن أن واحدا من أهم أسباب انتشار العنف هو فقد الحوار وفقد الأخلاق، "وعندما يفقد الحوار وتُفقد الأخلاق في ذات الوقت، فلا مفر من مواجهة أبشع صور العنف".

ويضيف على ذلك "ما شاهده وما أزال أشاهده من فتك المسلم بأخيه المسلم ودينه يجعل قتل الواحد كقتل الناس جميعا وقاتله مخلدا في النار أبدا أعاد علي سابق تساؤلي بألح ما كان، فلم أجد إلا جوابا واحدا هو أن حب التسلط استبد بالإنسان".

ويتساءل عبدالرحمن: هل من سبيل إلى خروج من هذا التسلط حتى يرتفع عن الناس شر العنف؟ ويسارع إلى الإجابة بأن "من يقرأ التاريخ لا يمكن إلا أن يجيب بالنفذ؛ فالتسلط قائم في البشر منذ أن تسلط قابيل على هابيل فسفك دمه بغير حق".

قبل أن يستدرك بقوله: "ولكن من ينظر إلى الإمكانيات يحيل أي شيء حتى ولو أثبت التاريخ استحالمته فقدرته الإنسان أوسع من التاريخ".

الهابيلي والقابيلي

يحاول عبدالرحمن تجاوز الواقع العنيف، متخيلا عالما مثاليا لا عنف فيه، ومستعملا في ذلك مفاهيم من روح الثقافة الإسلامية والمتجربة الإنسانية.

وهكذا يطلق على هذا العالم المثالي الذي يخلو من العنف اسم "العالم الهابيلي" نسبة إلى هابيل، الابن الثاني لآدم عليه السلام، أما العالم الواقعي المليء بالعنف، فيصفه بـ "العالم القابيلي".

ويعتبر "المفكر الائتماني" الذي نظّر له عبدالرحمن، "العنف وصفا أخلاقيا يخص الإنسان، ولما يقوم به الحيوان، بالرغم من توحشه، ولما الطبيعة على الرغم من قوتها التدميرية؛ لأنّ ذا العنف يدرك أنّ إتيانه لعمله تصرف مؤذٍ مؤثرا إتيانه على تركه".

العنف والمقوة

أ. د. طه عبد الرحمن

سؤال العنف

بين الائتمانية والحوارية



و متوسعا في الشرح، يفرق الفيلسوف المغربي بين مفهوم القوة ومفهوم العنف؛ فلفظ العنف يحمل معنى مقذوح فيه قدحا أخلاقيا، حتى ولو أضيف إليه لفظ المشروعية (في تعابير مثل العنف المشروع مثلا).

بينما لفظ القوة لا يحمل بالضرورة معنى قدحيا، بل قد يحمل معنى إيجابيا و محمودا؛ فالقوة دليل على شرف الرتبة.

ولذلك يعتبر أنّ القول "العنف المشروع" بمنزلة القول "الشر المشروع"، وهو قول متناقض، إذا لا يمكن للشر أن يكون مشروعا.

الارهاب المفعلي

ويفضل المؤلف المغربي في ذلك بالقول إنه "يتبين أنّ استعمال لفظ العنف في حق الدولة، ضرره أكبر من نفعه؛ وعندي أنّ سلطة الدولة تكون قوة متى لزمّت صراط العدل، وتكون عنفا متى حادت عنه، وحينئذ يجوز أن نقول عنف الدولة مقابل قوة الدولة، إذ يكون عنفا إذ ذلك مظهرا من مظاهر الضعف، الذي يعتري سلطتها وواجبها أن تكون هذه السلطة قوة لا عنفا".

ويدافع عبدالرحمن، ضمن نظريته "المائتمانية" عن كون العنف مراتب مختلفة؛ إذ يعتبر أن القول ليس مجرد لفظ أو صوت، وإنما هو عمل تغييري، مثله مثل الفعل بمنزلة الإرهاب الفعلي.

ويضيف أن هذا هو الحال مع "تطرف أولئك الذين أطلقوا حملاتهم المسعورة على الدين الإسلامي، طعنا في عقيدته، واستسخارا من رسوله، وتشويها لتاريخه، غير أنهم يزعمون أنهم لا يمارسون إلا حريتهم في التعبير".

حصل طه على شهادته الجامعية في الفلسفة من جامعة محمد الخامس بالعاصمة الرباط، ثم أكمل دراسته في جامعة السوربون بفرنسا، حيث حصل على درجة الدكتوراه، وبعدها عمل في التدريس بجامعة محمد الخامس لأكثر من ثلاثين عاما.

و للفيلسوف المغربي الذي يلقبه البعض بـ"فقيه الفلسفة" و"الفيلسوف المتصوف" مؤلفات عديدة، منها كتب: "من الإنسان الأبتري إلى الإنسان الكوثر"، "دين الحياء.. من الفقه المائتماري إلى الفقه المائتماني"، و"بؤس الدهرانية.. النقد المائتماني لفصل الأخلاق عن الدين".